فالله تعالى نهى أن يفخر على عموم المؤمنين، فكيف على نبي كريم؟

وإنما أخبر ﷺ أنه سيد ولد آدم لأنا لا يمكننا أن نعلم ذلك إلا بخبره؛ إذ لا نبي بعده يخبرنا بعظيم قدره عند الله، كما أخبرنا هو بفضائل الأنبياء قبله، صلى الله عليهم أجمعين، ولهذا أتبعه بقوله: «لا فخر» كما جاء في رواية.

وهل يقول من يؤمن بالله واليوم الآخر: أن مقام الذي أسري به إلى ربه، وهو مقرب مكرم، كمقام الذي ألقي في بطن الحوت وهو مليم؟

**ثم قال الطحاوي: (وحبيب رب العالمين)**

فقد ثبت له ﷺ أعلى مراتب المحبة، وهي الخلة كما صح عنه ﷺ أنه قال: (إن الله اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا)، وقال: (ولو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكن صاحبكم خليل الرحمن).

والحديثان في الصحيح، وهما يبطلان قول من قال: الخلة لإبراهيم والمحبة لمحمد، فقد ثبتت المحبة لغيره من المؤمنين، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة].

وأما حديث: «إن إبراهيم خليل الله، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر» الذي رواه الترمذي فإنه لم يثبت؛ لضعف رواية زمعة بن صالح.

## كذب كل مدع للنبوة بعده ﷺ

**قال: (وكل دعوى النبوة بعده فغيٌّ وهوى)**

وذلك لأنه خاتم النبيين، فعلم أن من ادعى النبوة بعده فهو كاذب.

**ولا يقال:** فلو جاء المدعي للنبوة بالمعجزات الخارقة والبراهين الصادقة كيف يقال بتكذيبه؟ **لأنا نقول:** هذا لا يتصور أن يوجد، وهو من باب فرض المحال؛ لأن

الله تعالى لما أخبر أنه خاتم النبيين، فمن المحال أن يأتي مدع يدعي النبوة ولا يظهر كذبه.

والغي: ضد الرشاد.

والهوى: عبارة عن شهوة النفس.

## عموم بعثته ﷺ لكافة الورى

**قال: (وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى، بالحق والهدى، وبالنور والضياء).**

فأما كونه مبعوثًا إلى عامة الجن فثابت في قوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾[الأحقاف].

والذين يخاطبون الجن هنا ويقولون: يا قومنا، هم نفر من أنفسهم، وهم الذين صرفهم الله إلى النبي ﷺ لاستماع القرآن، ثم ولوا إلى قومهم منذرين.

وكذا سورة الجن تدل على أنه أرسل إليهم.

وظاهر القرآن يدل على أن موسى عليه السلام مرسل إليهم أيضًا، والله أعلم، وذلك قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾[الأحقاف].

وأما كونه مبعوثًا إلى كافة الورى فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴿٢٨﴾﴾[سبأ].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴿١٥٨﴾﴾

[الأعراف].

وقال النبي ﷺ : «أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة» رواه البخاري ومسلم في الصحيحين.

وقال ﷺ : «لا يسمع بي رجل من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار» رواه مسلم.

وكونه ﷺ مبعوثًا إلى الناس كافة معلوم من دين الإسلام بالضرورة.

وأما قول النصارى: إنه رسول العرب خاصة فظاهر البطلان، فقد قال: إنه رسول الله إلى الناس عامة، والرسول لا يكذب؛ فلزم تصديقه حتمًا، فقد أرسل رسله وبعث كتبه في أقطار الأرض، إلى كسرى وقيصر والنجاشي والمقوقس وسائر ملوك الأطراف، يدعوهم إلى الإسلام.

## القول الحق في: القرآن الكريم كلام الله تعالى

قال الطحاوي رحمه الله :

**(وإن القرآن كلام الله، منه بدا بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحْيًا، وصدَّقه المؤمنون على ذلك حقًّا، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر، حيث قال تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ [المدَّثر] ، فلما أوعد الله بسقر من قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ [المدَّثر] : علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر).**

قال ابن أبي العز الأذرعي الشارح رحمه الله :

وهذه قاعدة شريفة، وأصل كبير من أصول الدين، ضل فيه طوائف كثيرة من

الناس وهذا الذي حكاه الطحاوي رحمه الله هو الحق الذي دلت عليه الأدلة، من الكتاب والسنة، لمن تدبرهما، وشهد به الفطرة السليمة التي لم تغير بالشبهات والشكوك والآراء الباطلة.

**وقوله: (منه بدا بلا كيفية قولاً)** رد على المعتزلة وغيرهم، فإن المعتزلة تزعم أن القرآن لم يبد منه، قالوا: وإضافته إليه إضافة تشريف، كبيت الله، وناقة الله، يحرفون الكلام عن مواضعه، وقولهم باطل، فإن المضاف إلى الله تعالى: معان وأعيان، فإضافة الأعيان إلى الله للتشريف، وهي مخلوقة له، كبيت الله، بخلاف إضافة المعاني، كعلم الله، وقدرته، وعزته، وكلامه، فإن هذا كله من صفاته، لا يمكن أن يكون شيء من ذلك مخلوقًا.

## الكلام صفة كمال، ورد على المعتزلة

والوصف بالتكلم من أوصاف الكمال، وضده من أوصاف النقص قال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ﴿١٤٨﴾ ﴾[الأعراف:١٤٨].

فكان عبّاد العجل مع كفرهم أعرف بالله من المعتزلة، فإنهم لم يقولوا لموسى: وربك لا يتكلم أيضًا.

وقد قال تعالى عن العجل أيضًا: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ ﴾[طه:٨٩].

فعلم أن نفي رجوع القول ونفي التكلم نقص يستدل به على عدم ألوهية العجل.

وغاية شبهتهم أنهم **يقولون:** يلزم منه التشبيه والتجسيم. **فيقال لهم:** إذا قلنا إنه

تعالى يتكلم كما يليق بجلاله، انتفت، ألا ترى أنه تعالى قال: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم ﴿٦٥﴾﴾[يس].

فنحن نؤمن أنها تتكلم، ولا نعرف كيف تتكلم.

وكذا قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ﴿٢١﴾﴾ [فُصِّلَت].

وإلى هذا أشار الشيخ رحمه الله **بقوله: (منه بدا بلا كيفية قولاً)**، أي: ظهر منه ولا ندري كيفية تكلمه به وأكد هذا المعنى **بقوله:** «قولًا» أتى بالمصدر المعرف للحقيقة، كما أكد الله تعالى بالمصدر المثبت النافي للمجاز في قوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء] فماذا بعد الحق إلا الضلال؟

ولقد قال بعضهم لأبي عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة أريد أن تقرأ: وكلم الله موسى، بنصب اسم الله؛ ليكون موسى هو المتكلم لا الله، فقال له أبو عمرو، هب أني قرأت هذه الآية كذا، فكيف تصنع بقوله تعالى: (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه)؟ فبهت المعتزلي.

وكم في الكتاب والسنة من دليل على تكليم الله تعالى لأهل الجنة وغيرهم؟

قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾[يس].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ ﴿٧٧﴾﴾[آل عمران]

فأهانهم بترك تكليمهم، والمراد أنه لا يكلمهم تكليم تكريم، وهو الصحيح؛ إذ قد أخبر في الآية الأخرى أنه يقول لهم في النار: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [المؤمنون].

obeikandl.com

فلو كان لا يكلم عباده المؤمنين لكانوا في ذلك هم وأعداؤه سواء، ولم يكن في تخصيص أعدائه بأنه لا يكلمهم فائدة أصلًا.

**وقال البخاري في «صحيحه»**: باب كلام الرب تبارك وتعالى مع أهل الجنة وساق فيه عدة أحاديث.

فأفضل نعيم أهل الجنة: رؤية وجهه تبارك وتعالى، وتكليمه لهم، فإنكار ذلك: إنكار لروح الجنة وأعلى نعيمها وأفضله الذي ما طابت لأهلها إلا به.

## إبطال استدلالهم بقوله تعالى: (الله خالق كل شيء)

وأما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزُّمَر:٦٢] والقرآن شيء فيكون داخلًا في عموم «كل» فيكون مخلوقًا!! فمن أعجب العجب؛ وذلك أن أفعال العباد كلها عندهم غير مخلوقه لله تعالى، وإنما يخلقها العباد جميعًا، لا يخلقها الله، فأخرجوها من عموم «كل» وأدخلوا كلام الله في عمومها، مع أنه صفة من صفاته، به تكون الأشياء المخلوقة، إذا بأمره تكون المخلوقات قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ ﴿٥٤﴾﴾[الأعراف].

ففرق بين الخلق والأمر، فلو كان الأمر مخلوقًا للزم أن يكون مخلوقًا بأمر آخر والآخر بآخر، إلى ما لا نهاية له، فيلزم التسلسل، وهو باطل.

وعموم «كل» في كل موضع بحسبه، ويعرف ذلك بالقرائن، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ﴾ [الأحقاف:٢٥]، ومساكنهم شيء، ولم تدخل في عموم كل شيء دمرته الريح؟ وذلك لأن المراد تدمر كل شيء يقبل التدمير بالريح عادة وما يستحق التدمير.

وكذلك قوله تعالى حكاية عن بلقيس: ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [النمل:٢٣]، المراد: من كل شيء يحتاج إليه الملوك، وهذا القيد يفهم من قرائن الكلام؛ إذ مراد الهدهد أنها ملكة كاملة في أمر الملك.

ولهذا نظائر كثيرة.

والمراد من قوله تعالى: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزُّمَر:٦٢] أي: كل شيء مخلوق، وكل موجود سوى الله فهو مخلوق، فدخل في هذا العموم أفعال العباد حتمًا، ولم يدخل في العموم الخالق تعالى، وصفاته ليست غيره؛ لأنه سبحانه وتعالى هو الموصوف بصفات الكمال، وصفاته لازمة لذاته المقدسة، لا يتصور انفصال صفاته عنه.

وأما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾ [الزُّخرُف:٣] فما أفسده من استدلال! فإن «جعل» إذا كان بمعنى خلق يتعدى إلى مفعول واحد، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام]، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء:٣٠] وإذا تعدى إلى مفعولين: لم يكن بمعنى خلق. قال تعالى: ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًا ٩١﴾ [النحل].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ٩١﴾ [الحِجر].

ونظائره كثيرة.

فكذا قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٣﴾ [الزُّخرُف].

## إبطال استدلالهم بقوله تعالى: (إنه لقول رسول كريم)

**فإن قيل:** قد قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩﴾ [التكوير].

وهذا يدل على أن الرسول أحدثه، إما جبريل أو محمد. قيل: ذكر الرسول معرف أنه مبلغ عن مرسله؛ لأنه لم يقل قول ملك أو نبي، فعلم أنه بلغه عمن أرسله به، لا أنه أنشأه من جهة نفسه.

**وأيضًا:** فالرسول في إحدى الآيتين: جبريل، وفي الأخرى: محمد، فإضافته إلى كل منهما تبين أن الإضافة للتبليغ؛ إذ لو أحدثه أحدهما، امتنع أن يحدثه الآخر.

**وأيضًا: فقوله:** «أمين» دليل على أنه لا يزيد في الكلام الذي أرسل بتبليغه ولا ينقص منه، بل هو أمين على ما أرسل به، يبلغه عن مرسله.

**وأيضًا:** فإن الله قد كفّر من جعله قول البشر، ومحمد ﷺ بشر، فمن جعله قول محمد، بمعنى أنه أنشأه، فقد كفر، ولا فرق بين أن يقول إنه قول بشر أو جني، أو ملك. والكلام كلام من قاله مبتدئًا، لا من قاله مبلغًا.

## اتفاق أهل السنة على أن كلام الله غير مخلوق

**وبالجملة:** فأهل السنة كلهم، من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم، من السلف والخلف، متفقون على أن كلام الله غير مخلوق، ولو ترك الناس على فطرهم السليمة وعقولهم المستقيمة لم يكن بينهم نزاع، ولكن ألقى الشيطان إلى بعض الناس أغلوطة من أغاليطه فرّق بها بينهم ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ١٧٦﴾ [البقرة]

والذي يدل عليه كلام الطحاوي رحمه الله: أنه تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء كيف شاء، وأن نوع كلامه قديم. وكذلك ظاهر كلام الإمام أبي حنيفة رحمه الله في الفقه الأكبر، فإنه **قال:** «والقرآن في المصاحف مكتوب، وفي القلوب محفوظ، وعلى الألسن مقروء، وعلى النبي ﷺ منزل، ولفظنا بالقران مخلوق، والقرآن غير مخلوق».

ولاشك أن الرسل الذين خاطبوا الناس وأخبروهم أن الله قال ونادى وناجى ويقول، لم يفهموهم أن هذه مخلوقات منفصلة عنه، بل الذي أفهموهم إياه: أن الله نفسه هو الذي تكلم، والكلام قائم به لا بغيره، وأنه هو الذي تكلم به وقاله، كما قالت عائشة رضي الله عنها في حديث الإفك: «ولشأني في نفسي أحقر من أن يتكلم الله فيّ بوحي يُتلى» ولو كان المراد من ذلك كله خلاف مفهومه لوجب بيانه؛ إذ تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز.

وقد قال النبي ﷺ: «**أعوذ بكلمات الله التامات**» فهل يقول عاقل: إنه ﷺ عاذ بمخلوق؟ بل هذا كقوله: «**أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك**» كل هذه من صفات الله تعالى.

وحقيقة كلام الله تعالى الخارجية: هي ما يسمع منه أو من المبلغ عنه، فإذا سمعه السامع علمه وحفظه، فكلام الله مسموع له محفوظ معلوم فإذا قاله السامع فهو مقروء له متلو، فإن كتبه فهو مكتوب له مرسوم، وهو حقيقة في هذه الوجوه، لا يصح نفيه، والمجاز يصح نفيه، فلا يجوز أن يقال: ليس في المصاحف كلام الله، ولا ما قرأ القارئ كلام الله، وقد قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۝٦﴾[التوبة].

وهو لا يسمع كلام الله من الله، وإنما يسمعه من مبلغه عن الله، وهذه الآية تدل على فساد قول من قال: إن المسموع عبارة عن كلام الله وليس هو كلام الله، فإنه تعالى قال: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦]، ولم يقل: حتى يسمع ما هو عبارة عن كلام الله، أو حكاية كلام الله، وليس فيها كلام الله، فقد خالف الكتاب والسنة وسلف الأمة، وكفى بذلك ضلالًا.

وكلام الطحاوي يرد قول من قال: إنه معنى واحد لا يتصور سماعه منه، وإن المسموع المنزل المقروء والمكتوب ليس كلام الله وإنما هو عبارة عنه، فإن الطحاوي رحمه الله **يقول: (كلام الله منه بدا)** وكذلك قال غيره من السلف، «ويقولون: منه بدا، وإليه يعود» **وإنما قالوا:** منه بدا، لأن الجهمية من المعتزلة وغيرهم كانوا يقولون: إنه خلق الكلام في محل، فبدا الكلام من ذلك المحل، **فقال السلف:** منه بدا، أي: هو المتكلم به، فمنه بدا؛ لا بعض المخلوقات، كما قال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾[الزُّمَر].

وقال سبحانه: ﴿وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي ١٣﴾ [السجدة].

ومعنى **قوله: (وإليه يعود)** أي: يرفع من الصدور والمصاحف، فلا يبقى في الصدور منه آية ولا في المصاحف، كما جاء ذلك في عدة آثار.

**وقوله: (بلا كيفية)** أي: لا يعرف تكلمه به قولًا ليس بالمجاز، وأنزله على رسوله وحيًا، أي: أنزله إليه على لسان الملك، فسمعه الملك جبريل من الله، وسمعه الرسول محمد ﷺ من الملك وقرأه على الناس.

قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾ [الشعراء].

وقوله: **(وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية)** رد على المعتزلة وغيرهم، وفي **قوله: (بالحقيقة)** رد على من قال أنه معنى واحد قائم بذات الله لم يسمع منه وإنما هو الكلام النفساني، لأنه لا يقال لمن قام به الكلام النفساني ولم يتكلم به: إن هذا كلام حقيقة، وإلا للزم أن يكون الأخرس متكلمًا ولزم ألَّا يكون الذي في المصحف عند الإطلاق هو القرآن ولا كلام الله، ولكن عبارة عنه ليست هي كلام الله، كما لو أشار أخرس إلى شخص بإشارة فهم بها مقصوده، فكتب ذلك الشخص عبارته عن المعنى الذي أوحاه إليه ذلك الأخرس، فالمكتوب هو عبارة ذلك الشخص عن ذلك المعنى، وهذا المثل مطابق غاية المطابقة لما يقولونه، وإن كان الله تعالى لا يسميه أحد «أخرسًا» لكن عندهم أن الملك فهم منه معنى قائمًا بنفسه، لم يسمع منه حرفًا ولا صوتًا، بل فهم معنى مجردًا، ثم عبر عنه، فهو الذي أحدث نظم القرآن وتأليفه العربي.

## القول إن الكلام هو المعنى القائم بالنفس

ويرد قول من قال بأن الكلام هو المعنى القائم بالنفس: قوله ﷺ: «**إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس**» وقال: «**إن الله يحدث من أمره ما يشاء، وإن**

**مما أحدث: أن لا تكلموا في الصلاة»** فقد اتفق العلماء على أن المصلي إذا تكلم في الصلاة عامدًا لغير مصلحتها بطلت صلاته.

واتفقوا كلهم على أن ما يقوم بالقلب -من تصديق بأمور دنيوية وطلب- لا يبطل الصلاة، وإنما يبطلها التكلم بذلك، فعلم اتفاق المسلمين على أن هذا ليس بكلام.

## حكم قائل ذلك

ولا شك أن من قال: إن كلا م الله معنى واحد قائم بنفسه تعالى، وإن المتلو المحفوظ المكتوب المسموع من القارئ حكاية كلام الله، وهو مخلوق: فقد قال بخلق القرآن وهو لا يشعر، فإن الله يقول: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴿٨٨﴾ ﴾[الإسراء].

أَفتَراه سبحانه يشير إلى ما في نفسه أو إلى المتلو المسموع؟

لا شك أن الإشارة إنما هي إلى هذا المتلو المسموع؛ إذ ما في ذات الله غير مشار إليه ولا متلو ولا ومسموع.

وقوله سبحانه: ﴿ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾ [الإسراء:٨٨] أفتراه سبحانه يقول: لا يأتون بمثل ما في نفسي مما لم يسمعوه ولم يعرفوه؟ وما في نفس الله عز وجل لا سبيل إلى الوصول إليه.

وقوله: **(ولا يشبه قول البشر)** يعني: أنه أشرف وأفصح وأصدق. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾[النساء] .

وقال تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴿٣٨﴾ ﴾[يونس] .

فلما عجزوا وهم فصحاء العرب،مع شدة العداوة عن الإتيان بسورة مثله: تبين صدق الرسول ﷺ أنه من عند الله، وإعجازه من جهة نظمه ومعناه، لا من جهة أحدهما فقط.

## تنزيه الله تعالى عن الوصف بمعنى من معاني البشر

**قال الطحاوي: (ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر، فقد كفر، فمن أبصر هذا اعتبر، وعن مثل قول الكفار انزجر، وعلم أنه بصفته ليس كالبشر)**

لما ذكر الشيخ فيما تقدم «أن القرآن كلام الله حقيقة، منه بدا»، نبه بعد ذلك على أنه تعالى بصفاته ليس كالبشر، نفيًا للتشبيه عقيب الإثبات، يعني أن الله تعالى وإن وصف بأنه متكلم، لكن لا يوصف بمعنى من معاني البشر التي يكون الإنسان بها متكلمًا، فإن الله ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير.

## رد الإمام الطحاوي على منكري ثبوت الرؤية في الجنة

**قال: (والرؤية حق لأهل الجنة، بغير إحاطة ولا كيفية، كما نطق به كتاب ربنا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة] وتفسيره على ما أراده الله تعالى وعلمه، وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ فهو كما قال، ومعناه على ما أراد، لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا، فإنه ما سلم في دينه إلا من سلّم لله -عز وجل- ولرسوله ﷺ، ورد عِلْمَ ما اشتبه عليه إلى عالمه).**

وهذا رد من الطحاوي على من خالف في الرؤية، رؤية المؤمنين إذا دخلوا الجنة الرب سبحانه؛ إذ أنكر ذلك الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم، وقولهم باطل مردود بالكتاب والسنة وقد قال بثبوت الرؤية: الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين، وأهل الحديث وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبون إلى السنة والجماعة.

## إيراد أدلة

وقد ذكر الشيخ رحمه الله من الأدلة قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢﴾ [القيامة].

وهي من أظهر الأدلة، وأما من أبى إلا تحريفها بما يسميه تأويلًا، فتأويل

نصوص المعاد والجنة والنار والحساب أسهل من تأويلها على أرباب التأويل، ولا يشاء مبطل أن يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها إلا وجد إلى ذلك من السبيل ما وجده متأول هذه النصوص.

وهذا الذي أفسد الدنيا والدين، وهكذا فعلت اليهود والنصارى في نصوص التوراة والإنجيل، وحذرنا الله أن نفعل مثلهم، وأبى المبطلون إلا سلوك سبيلهم.

وإضافة النظر إلى الوجه الذي هو محله في هذه الآية، وتعديته بأداة «إلى» الصريحة في نظر العين، وإخلاء الكلام من قرينه تدل على خلافه، حقيقة موضوعة في أن الله أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى الرب -جل جلاله- فإن «النظر» له عدة استعمالات، بحسب صلاته، وتعديه بنفسه، فإن عُدِّيَ بنفسه فمعناه: التوقف والانتظار، كقوله: ﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ﴾[الحديد:١٣]، وإن عُدِّيَ بـ «في» فمعناه: التفكير والاعتبار، كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف:١٨٥] وإن عُدِّيَ بـ «إلى» فمعناه: المعاينة بالإبصار، كقوله: ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓ﴾[الأنعام:٩٩] فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر؟

وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ ﴿٢٦﴾﴾[يونس].

فالحسنى: الجنة، والزيادة: هي النظر إلى وجهه الكريم، فسرها بذلك رسول الله ﷺ، كما روى مسلم في «صحيحه» عن صهيب قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ ﴿٢٦﴾﴾ ثم قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه. فيقولون: ما هو؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ فيكشف الحجاب، فينظرون إليه، فما أعطاهم شيئًا أحب إليهم من النظر إليه، وهي الزيادة».

ورواه غيره بأسانيد متعددة وألفاظ أخَر، وكذلك فسرها الصحابة رضي الله عنهم، روى

ابن جرير الطبري ذلك عن جماعة منهم: أبو بكر الصديق رضي الله عنه وحذيفة، وأبو موسى الأشعري، وابن عباس رضي الله عنهم.

وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾[المطففين].

وقد احتج الشافعي رحمه الله وغيره من الأئمة بهذه الآية على الرؤية لأهل الجنة، ذكر ذلك الطبري وغيره عن المزني عن الشافعي **قال**: لما أن حجب هؤلاء في السخط، كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضاء.

## استدلال المعتزلة دليل عليهم

وأما استدلال المعتزلة بقوله تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف:١٤٣]، وبقوله تعالى ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣] فالآيتان دليل عليهم.

أما الآية الأولى: فالاستدلال منها على ثبوت الرؤية من وجوه:

**أحدها**: أنه لا يظن بكليم الله ورسوله الكريم وأعلم الناس بربه في وقته أن يسأل ما لا يجوز عليه.

**الثاني**: أن الله لم ينكر عليه سؤاله، ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه، أنكر سؤاله وقال: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [هود].

**الثالث**: أنه تعالى قال: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾، ولم يقل: إني لا أرى، أو لا يجوز رؤيتي والفرق بين الجوابين ظاهر، وموسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار؛ لضعف قوى البشر فيها.

**الرابع**: قول الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ ﴿١٤٣﴾﴾[الأعراف].

فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلي في هذه الدار، فكيف بالبشر الذي خلق من ضعف؟

obeikandl.com

**الخامس:** قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴿١٤٣﴾﴾[الأعراف].

فإذا جاز أن يتجلى للجبل، الذي هو جماد، فكيف يمتنع أن يتجلى لرسوله وأوليائه في دار كرامته؟ ولكن الله تعالى أعلم موسى أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار فالبشر أضعف.

**السادس:** أن الله كلم موسى وناداه وناجاه، ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يسمع مخاطبة كلامه بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز، ولهذا لا يتم إنكار رؤيته إلا بإنكار كلامه.

## معنى (لن) وكونها لا تفيد تأبيد النفي

وأما دعوى المعتزلة تأبيد النفي بـ «لن»، وأن ذلك يدل على نفي الرؤية في الآخرة، ففاسد، لأنها لو قيدت بالتأبيد لا يدل على دوام النفي في الآخرة، فكيف إذا أطلقت؟

قال تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴿٩٥﴾﴾[البقرة].

مع قوله: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ ﴿٧٧﴾﴾[الزُّخرُف].

ولأنها لو كانت للتأبيد المطلق لما جاز تحديد الفعل بعدها، وقد جاء ذلك.

قال تعالى: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ ﴿٨٠﴾﴾[يوسف].

فثبت أن «لن» لا تقتضي النفي المؤبد.

قال الشيخ جمال الدين بن مالك رحمه الله:

ومن رأى النفي بلن مؤبدًا فقوله اردد وسواه فاعضدا

**وأما الآية الثانية:** فالاستدلال بها على الرؤية من وجه حسن لطيف، وهو: أن